تفسير القرآن الكريم

لقد كتبت مراراً حول هذا الموضوع الجليل ، فى شتى الصحف والمجلات ، ولا عجب فى ذلك ولا غرابة ، فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين ، وقانون العالمين ، وضياء الرب للحائرين ، ومائدته الكبرى للطاعمين ، ومنهله العذب الصافى للشاربين ، وحجته البالغة المؤيدة للمستبصرين : ولقد ساءنى حقاً أن أطالع هنا وهناك أشكالا وألواناً من التفسير فأرى أن أغلبها وأكثرها لا يستقيم على الطريقة ، ولا يوفى بالغرض ، وكنت دائماً أسائل نفسى : ألا ييسر الله لهذه الأمة من يفسر لها كتابها المجيد بأسلوب عصرى حديث ، يحسن الربط بين الماضى والحاضر ، ويجيد التعرض للمشكلات فيبسطها بسط الخبير اللبيب ، ليرى الناس كيف انطوى القرآن الحكيم على عظات وآيات هى غاية الغايات فى الهداية والتقويم ؟ ! .

كنت أسائل نفسى ، وكان كثيرون يسائلون أنفسهم هذه المساءلة من غير شك ، حتى طلعت عليهم الأقدار المسعدة بتلك المواسم اليعقوبية التى شهدتها دار الحكمة بالقاهرة خلال الأعوام الثلاثة الماضية ، والتى ندعو الله مخلصين أن يديمها على المسلمين حتى تكون لهم ريا ونوراً ورشادا . . . تلك المواسم هى مواسم تفسير القرآن الكريم التى فكر فيها وعمل لها ودعا إليها وسهر عليها وأنفق الكثير والكثير من أجلها الرجل المصلح ، والمسلم العامل ، والمجاهد فى سبيل الله بماله وعصبه الحاج يعقوب بك عبدالوهاب ، والتى اشترك فى إلقاء محاضراتها أربعة أعلام تجلهم مصر ، ويعرفهم العالم الإسلامى خير معرفة وهم الأساتذة الأجلاء ، والأماثل الأقطاب الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبدالوهاب خلاف والأستاذ عبدالوهاب حمودة ، والدكتور عبدالوهاب عزام ، وكل من هؤلاء الأعلام يستحق جزيل الشكر وبالغ الثناء ، وإن نكن قد حرمنا من الدكتور عزام فى هذه المحاضرات لسفره إلى المملكة العربية السعودية فى واجبه الوطنى فلا زلنا نذكر له ماقدم ، ولن ينتفع بحاضره من لم يربطه بماضيه ! . .

لقد تابعت هذه المحاضرات وحرصت عليها ، فرأيت كيف يعرض فيها أسرار القرآن الكريم عرضاً حديثا جديداً كله التشويق والترغيب ، وكيف تفسر ألفاظ القرآن وآياته تفسيراً فيه الدواء والغذاء لكل طالب ، فهذا شلتوت عالم يعرض الأهداف والمقاصد العامة للقرآن ، متناولا سور القرآن واحدة فواحدة ، فكأنه يضع لك المبادىء العامة والأهداف الكلية للقرآن ، ثم يريد أن يطبق لك هذه الكليات على جزئية من جزئيات القرآن فيتناول من السورة آية أو جملة آيات ، ثم يظل يدرسها ويحللها ويفسرها ويستخلص منها ويطبق عليها حتى يضع فى يديك المصباح ويدعوك إلى المسير ! .

وهذا خلاف عالم ثان ضليع متمكن ، قدير على استخلاص الأحكام ، والتوفيق بين الآيات ، وبسط الشبه ، ثم الكر عليها بما يدمغها ، فإذا هى زاهقة . وتصحيح الأوهام والأخطاء التى وقعت قديماً أو حديثا . وتعويد المسلم البصير على الموازنة فى الأقوال ، واختيار الراجح الأفضل منها ، لا عن هوى ، بل عن عمق نظر وطويل تدبر . . . وهذا حمودة أستاذ أديب ، طعم من القرآن طويلا ، وجلس إليه طويلا ، ونظر فى آياته وحروفه طويلا ، حتى يخيل إليك أنه قد اختلط به ودخل فيه ، ولذلك هو يبدو مشوقا فى قراءته وعرضه وأسلوبه ، وكثيراً ماروعك منه لفتات أدبية ووقفات ذوقية ولمحات بيانية تجعلك تؤمن بأن طول النظر فى القرآن يهدى إلى الأعاجيب ! . . وبمثل هذا التعاون فى عرض النواحى المختلفة لعظمة القرآن الكريم يكون التفسير فى هذا العصر الحديث ! .

إنى أومن بأن هذه المحاضرات التى استمع إليها المصريون خلال الأعوام الثلاثة الماضية فتح جديد فى تفسير القرآن ، ومن الواجب أن تتصل وتزيد وتتضاعف ، وأن يتسع نطاق نشرها ، وأن يطبع ما يقال فيها ، وأن يهتم لها المسئولون وغير المسئولين ، وأن يقتدى بها القادرون فيعملوا على غرارها فى مصر وفى البلاد الاسلامية ، ويومها سيرى الناس أنفسهم مدينين بالشكر والدعاء والثناء على الرجل المخلص الغيور الحاج يعقوب بك عبدالوهاب صاحب فكرة هذه المواسم ، ومن سن سنة فله اجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، والله يهدى العاملين ! !

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

البعثة

٢٥ شارع إسماعيل
باشا محمد بالزمالك
تليفون ٥٧٥٢٨

نشرة ثقافية شهرية يصدرها بيت الكويت بمصر
رئيس التحرير المسئول : عبد العزيز حسين

ربيع اول ١٣٦٩
ديسمبر ١٩٤٩
العدد التاسع
السنة الثالثة

العمل للمستقبل

فى كل لحظة نحياها فى عالمنا هذا ، ننتفع بآثار وجهود من سبقنا من الناس ، وفى كل ابتكار نخرجه إلى عالم الوجود ، فاننا نقدم به خدمة إلى من سيخلفنا على هذه الأرض، والانسان إذ يعمل على خلق حياة أفضل من هذه التى يحياها ، فانه يسهم بنصيب فى بناء الحضارة .. وليس عمر الفرد إلا لحظة طارئة من عمر الانسانية ، ولكنها ربما كانت من اللحظات الفريدة التى قلما يجود بها الزمان ، عندما يقدم ذلك الفرد يداً جديدة تقفز بحضارتنا الانسانية خطوة إلى الأمام . . .

إن الانسان العادى يعيش فى دائرة ضيقة من نفسه المحصورة فى البحث عن متعه الخاصة وتوفير أسباب الحياة الرغيدة لها . . فاذا ارتقى اتسعت هذه الدائرة رويداً رويداً حتى شملت بيئته من أطرافهـــا . . وإذا سمت بعد ذلك استوعبت الانسانية جميعاً . . .

وإن من سمات المصلحين والمبتكرين أن ينظروا فيما يقدمونه من عمل إلى المستقبل البعيد الذى قد يتجاوز أعمارهم المحدودة مئات السنين ، لاينفسون على تلك الأمم التى ستليهم ما سوف تستمتع به من نتاج جهودهم ، وما سوف تجنيه من ثمار غرسهم. ولعل من أهم أسباب الاستمرار فى المحافظة على كيان الشعوب وحيويتها مدى القرون الطوال، أن ينظر الرؤساء فيما يضعون من نظم إلى المستقبل البعيد لشعوبهم ، فهم لايبنون للحاضر فحسب، ولايضعون الخطط لمتعة جيلهم الحالى فقط ، بل لأجيال كثيرة مقبلة تنتفع بهذه الجهود ، وعليها أن تضيف جهوداً جديدة لمن يليها من الأجيال . . .

هذه النظرة البعيدة التى توافرت لكبار المصلحين ، يجب أن تكون نصب أعيننا فى كل ما نقدمه من عمل عام ، ألا نحصر جهادنا لغاية قريبة ينتهى جهادنا ببلوغها بل علينا دائماً أن ننظر إلى الغايات البعيدة ونسعى إليها ، مدركين أن حياة الأمم القادمة ليست إلا امتداداً لحياتنا، وأننا فيما نقدمه من جهود إنما نفى بعض الدين الذى علينا لمن سلف من الأمم . . .

وإن كل فئة من الناس تستطيع أن تعمل لهذه الغاية فى نطاقها الخاص، إذا أدركت أنها تعيش فى مجتمع مترابط ، مصلحته من مصلحتها وضرره يصل إليها ، وأن من واجبها أن تمد فى حياة هذا المجتمع لكى يعيش عضواً له كرامته الانسانية بين الشعوب الراقية . . . وسواء أكنا عمالا أو مربين أو تجاراً ، أو غير أولئك وهؤلاء ، فان مجال الخدمات الانسانية مفتح الأبواب أمامنا ، ويستطيع الواحد منا أن يغلق على نفسه أبواب عمله فيعيش ثم يذهب ، كما ذهب الكثيرون ، لم يتركوا للعالم شيئاً ولم يحفظ لهم العالم ذكراً ، كما يستطيع أن يحيا للحاضر وللمستقبل معاً ، ولنفسه وأمته معاً ، فيشحذ ملكاته وينمى مقدرته ، ويطمح إلى ما طمح إليه المصلحون قبله ، من وضع لبنة جديدة فى بناء مجد أمته . . .

عبد العزيز حسين

فى وداع البعثة الذاهبة الى الكويت

إنى أرحب فى بيت الكويت ببعثة مصر النوابة النابهة من مدرسين ومدرسات إلى إمارة الكويت الدرة الثمينة الغالية فى عقد التاج العربى الكبير ، ولست بدخيل فى هذا الترحيب ، مع أننى مصرى مثلكم ، لأننى بعيد عهد الصلة بالكويت الإمارة العربية الإسلامية الشقيقة الناهضة ، وإنى لحب لها متعلق بها دارس لشئونها متحدث عنها فى كلماتى ومحاضراتى ودروسى ، متصل بأهلها هنا وهناك ، ولو لم أكن مصرياً لتمنيت أن أكون كويتياً ، وإذا كانت الأقدار لحكمة تخفيها قد حرمتنى شرف الانتساب المباشر إلى الإمارة الجميلة الحلوة المستلقية فى أحضان البحر استلقاء اللؤلؤة النقية الصافية فوق الشاطىء الفسيح ، فإنها قد أكسبتنى شرفا آخر يدنو من ذلك الشرف ، ألا وهو الانتماء إلى الوطن العربى الأكبر الذى يضم بلاد العروبة هنا وهناك حيث تتردد ألفاظ اللغة الرائعة ويعلو لواء الإسلام الوضاء .. وأنا أرحب بهذه البعثة التعليمية المكونة من صفوة طاهرة من شباب المدرسين الناهضين وكرائم الآنسات المدرسات ، أرحب بهم هنا فى بيت الكويت بالقاهرة ، ولست أيضا بدخيل فى هذا الترحيب لأننى لست بغريب عن بيت الكويت ، بل أنا منه وإليه ، قديم الصلة به قديم الاندماج فيه والامتزاج بأهليه ، فقد شهدته مع زملائى السابقين من الكويتيين فى ساحات العلم وهو أمل يداعب خيالنا وخواطرنا ، ثم شهدناه مولوداً جديداً ، حدونا ميلاده للبهيج بالغناء وحسن الرجاء ، ثم شهدناه صبياً يافعاً يانع الثمر عميق الأثر ، ثم هأنذاك أشهده اليوم وهو يشتد ساعده ويقوى عضده ، وأرى لى فى أرجائه أحبة أعزاء يضعون أمام أبصار المصريين صورة مصغرة مؤثرة من البيئة الكويتية الصافية ، وأتذكر فيه عهوداً كثيرة يعرفها مثلا أخونا المفضال الأستاذ عبد العزيز حسين — رد الله غربته إلينا بخير — وأخونا الناهض الأستاذ حمد رجيب وغيرهما ، ومامن شأنى أن أستفيض فى هذه الذكريات ، فما ذاك بمناسب لهذا الموقف المشهود الذى تتهيأ فيه كوكبة من قساور مصر وظبائها للرحيل إلى إمارة الكويت ، كى يزيدوا شبابها عن طريق التعليم والتربية والتثقيف نوراً فوق نور . ولكن عاطفتى نحو أشقائى وشقيقاتى الراحلين فى سبيل الله والوطن ، وحسن ظنى فى جميل تقبلهم القول الخالص من أخ لهم يقدرهم ويكبر شأنهم ، يدعونى أن أقول لهم كلمة :

إن الغلام داخل بيته وبين أسرته يمثل نفسه فقط ، فإذا ذهب إلى مدرسة القرية مثل أسرته ، فإذا ذهب إلى مدرسة المدينة كان عنوانا لقريته ، فاذا ذهب إلى الجامعة بالعاصمة كان ممثلا لإقليمه ، فاذا كبر وذهب يطلب العلم فى الخارج وراء البحار كان صورة لوطنه وأمته ، فاذا عاد إلى بلاده ليتولى التدريس والتوجيه كان عنواناً للعقل البشرى المهذب ، والنفس الصافية المؤدبة ، والروح الإنسانية العالية ، وأنتم يا أصفيائى المدرسين والمدرسات حينما تتجهون بعناية الله وتحت رعايته إلى شقيقتكم إمارة الكويت ستكونون عنواناً لما هو أوسع وأرفع مما سبق ، لن تمثلوا مصر وحدها هناك ، بل ستمثلون مصريتكم ، وتمثلون فوقها عروبتكم ، وتمثلون بعد ذلك روحكم الإسلامية وطبيعتكم الشرقية ، وتمثلون أخيراً نزعتكم الإنسانية السامية ، وهذا التمثيل يقتضيكم تبعات ثقيلة وجهوداً جبارة ، لا أتهم مقدرتكم عليها ، ولا أتخون عزيمتكم ، فيها ولا أشك فى فقهكم لها ، ولكنى مذكر فحسب ، والذكرى تنفع المؤمنين .

وهناك ملاحظة أحب أن نتدبرها ونتذكرها ، هى أن أشبال الكويت الموجودين هنا فى بيت الكويت الذين يطلبون العلم فى معاهدنا المختلفة ، يشاهدون مصر عن كثب وقرب ، فيرون حسناتها وسيئاتها ، ويرقبون نهضتها الحاضرة بما لها وما عليها ، وقد يسوؤهم من الحياة المصرية جوانب كما يسرهم جوانب ، ولكنهم يلتمسون لنا المعاذير ، ويرون قسوة المقادير ، ويدركون الأسباب المباشرة أو غير المباشرة فى هذا التقصير أو ذاك ، وفى هذه السيئة أو تلك ، ولكن القوم الأشقاء المقيمين هناك بالكويت ، لا يتصورون فى مصر سوءاً ، ولا يتخيلون صدور العيب منها ، ولذلك سيلاقونكم أيها المجاهدون فى سبيل العلم والعروبة كأنكم